القيم الإنسانية في الإسلام

د/ عبدالله بن علي بصفر(*)

المراد بالقيم في موضوعنا الذى نتحدث فيه اليوم هو :(صفات، أو مُثل ،أو قواعد؛ تُقام عليها الحياة البشرية فتكون بها حياة إنسانية، وتُعايَرُ بها النظم والأفعال؛ لتُعرَفَ قيمتها الإنسانية من خلال ماتتمثله منها)

وعرفها البعض بأنها :(مجموعة من القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية وتختلف بها عن الحياة الحيوانية)

وهذه القيم يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين :

١- **القيم الأساسية** : وهى القيم الإنسانية الفاضلة، التى لايختلف عليها أحد؛ كالصدق ، والأمانة ، واحترام الآخر ... إلخ .

٢- **القيم الثانوية** : وهى الأمور القيمية الخاصة بكل إنسان؛ فهى تختلف من شخص لآخر؛ فهذا يختار قيمة نشر العلم مثلاً كقيمة من القيم الأساسية عنده، وآخر يختار قيمة إغاثة المحتاج، وثالث يختار قيمة ثالثة وهكذا.

والذى يعنينا فى حديثنا اليوم هو القسم الأول؛ وهو القيم الإنسانية الأساسية .. لقد جرت عاد المفكرين المسلمين المهتمين بدراسة القيم أن يردُّها إلى ثلاثة أنواع:

١- **القيم العليا** : وهى القيم الكلية الكبرى التى تسمو بالإنسان إلى معالي الأمور، وترفع مستواه على سائر المخلوقات، ومن تلك القيم : الحق، والعبودية، والعدل، والإحسان، والحكمة، وتُعدُّ هذه القيمة من أرقى القيم الإسلامية وأسماها وأعلاها على الإطلاق، تكتسب هذه القيمة مكانتها العالية من خلالها مضامينها.

(*) مفكر إسلامى

٢- **القيم الحضارية:** وهى القيم المتعلقة والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبناء الحضارى للأمة الإسلامية، متمثلة في التقدّم العقلي والمادى معاً، وهي ذات طابع اجتماعي عمراني، كالاستخلاف، والمسؤولية، والحرية، والمساواة، والعمل، والقوة، والأمن، والسلام، والجمال وغيرها .

٣- **القيم الخلقية :** وهى القيم المتعلقة بتكوين السلوك الخلقي الفاضل عند المسلم؛ ليصبح سجيةً وطبعاً يتخلق به ويتعامل به مع الآخرين لتكوين مجتمع إسلامي فاضل تسوده المحبة والوئام، كالبر، والأمانة، والصدق، والأخوة، والتعاون، والوفاء، والصبر، والشكر، والحياء، والنصح، والرحمة، والصبر، والحوار، واحترام الآخر) [١]

وسوف أتناول بعضَ هذه القيم الإنسانية الفاضلة، وأقف معها بشئ من البيان والإيضاح، وليس الغرضُ الحصرُ لهذه القيم، إذ هذا لايتيسر في مثل هذا المقام؛ وإنما الغرض التمثيل على مدى عناية الإسلام بتلك القيم الإنسانية الرفيعة التي تسمو بالإنسان إلى المعالي ... وهذه القيم التي سأُلقي الضوء عليها هي: (العدل والمساواة، والمسئولية،والبر، والصدق، والتعاون، والأمانة).

١- العدل والمساواة :

والعدلُ: الاستواء، وهو خلاف الجور، وهو الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط. والعدالة : الاستقامة على طريق الحق .

قال الماوردي :(إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل، الذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على طاعة ، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر مع النسل، ويأمن به السلطان.

وليس شيءٌ أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجَوْر؛ لأنه ليس يقف على حدٍّ، ولاينتهى إلى غاية، ولكل جزءٍ منه قسطٌ من الفساد حتى يَستكْمِلَ.

(١) القيم بين الإسلام والغرب د. مانع المانع ص ٢٤ مع تصرف وزيادة يسيرة.

ونُقل عن بعض البلغاء قوله :(إن العدل ميزان اللّه الذى وضعه للخلق، ونصبه للحق، فلا تُخالفه في ميزانه، ولاتُعارضه في سلطانه، واستعن علي العدل بخلتين: قلة الطمع، وكثرة الورد)[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى :(أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولاتدوم مع الظلم والإسلام)[2]

والمراد بالمساواة : أن يكون للمرء مثل ما لأخية من الحقوق، وعليه مثل ماعليه من الواجبات دون زيادة أو نقصان .

ولايوجد فرق بين العدالة والمساواة .. إذا المساواة هي الغاية التي تسعى العدالة إلى تحقيقها، وهي الغاية المرجوة منها؛ والعدل من شأنه أن يُساوي بين أشياء غير متساوية؛ ولأجل هذا فإن كليهما – المساواة والعدالة– قد يستعمل استعمال الآخر تسامحاً، ولكنهما غالباً مايستعملان معاً .

وإذا كانت العدالة خُلقاً فإن المساواة قيمة حضارية عليا، وهدفٌ أسمى.

لقد تميَّز الإسلام بهذه القيمة الإنسانية الحضارية، والتي عجزت جميع النظم الحديثةوالمنظمات الدولية عن تحقيقها، وقد أعلنها النبى ﷺ وطبقها في واقع المسلمين، وبذلك يكون قد خرَّج للبشرية أعظم جيل عرفته الإنسانية على الإطلاق، فالمساواة قيمة عظيمة. ما أجملها؟! وما أعظمها ؟! وما أروعها؟! وإذا طبقت في واقع الناس فإنهم يشعرون بالأمن والطمأنينة والراحة والسعادة.

وقد أوجبَ الإسلام العدل والإنصاف لكل أحد، حتى ولو كان مخالفاً لنا في الدين أو العقيدة، كما أوجب العدل في كل شئ من الاقوال والأفعال، حذَّر من مغبة مخالفة ذلك.

---

(١) أدب الدنيا والدين صـ ١٤١، وانظر موسوعة (نضرة النعيم) جـ٧ ص ٢٧٩٣

(٢) الحسبة صـ ١٤٧

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١)

وقال سبحانه :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء للّه وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(٢).

وقال جل وعلا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ للتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣)

وقال تبارك وتعالى :﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(٤).

وقال عز وجل :﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٥)

وقال تعالى :﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(٦)

* وقال عز وعلا :﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ للتَّقْوَى﴾(٧)

---

(١) سورة النحل آيه ٩٠
(٢) سورة النساء آيه ١٣٥
(٣) سورة المائدة آيه ٨
(٤) سورة النساء آيه ٥٨
(٥) سورة آل عمران آيه ٦٤
(٦) سورة الحديد آيه ٢٥
(٧) سورة المائدة آيه ٨

* وقال سبحانه :﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[1]

وتأمل معي ما حكاه الله عن أهل الكتاب بعد أن ذكر ظلمهم وتكذيبهم لأنبيائهم وكفرهم؛ تأمل كيف يثني على من يستحق الثناء منهم فيقول سبحانه:﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾[2] ، ويقول جل وعلا :﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3] وقال جل ذكره :﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾[4]

وللعدل والمساواة فوائد عديدة منها :

١- تحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع المسلم بحيث يشعر كل فرد من أفراده أنه ليس أقل من غيره وأنه سيحصل على حقه في التعليم والوظائف العامة ونحوها.

٢- القضاء على الفتن الطائفية، نظراً لشعور الذميين بأن لهم حق المواطنة على قدم المساواة مع المسلمين.

٣- إشعار المرأة بقيمتها، إذا هي مساوية للرجل في الإنسانية وأصل المسؤولية والجزاء وحق العبادة وحصول الثواب، وأنها لاتشكل الجانب الأضعف.

٤- القضاء على الغرور عند من يظنون أنفسهم فوق الناس، والقضاء على الوهن والضعف وخور العزيمة عند من يظنون أنفسهم دونهم.

---

(١) سورة الأنعام آيه ١٥٢

(٢) سورة آل عمران آيه ٧٥

(٣) سورة آل عمران آيه ١٩٩

(٤) سورة الممتحنة آيه ٨

٥- اطمئنان كل فرد على عدالة الحكم وأن السياسة التى تقوم على ذلك هي سياسة عادلة لاتفرق بين الناس تبعاً لأعراقهم ووضعهم الاجتماعى، أو مواقعهم من السلطة[١]

لقد جعل الإسلام عيار التفاضل بين الناس جميعاً هو التقوى وحدها :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فالناس في الإسلام سواسية كأسنان المشط؛ لافضل لعربى على أعجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، وقد جاء الإسلام فسوّى بين بلال وعمر؛ وسوّى بين سلمان وأبي بكر؛ ولم ينظر الإسلام في هذه التسوية للجنس ولا للون ولا للعرق؛ وهكذا تميز هذا الإسلام العظيم على جميع النظم والأيدلوجيات والشرائع والأديان الوضعية بهذا المبدأ العظيم، وهذه القيمة الكبرى مما يجعل المسلم يفتخر بهذا الدين القويم.

ومن أبرز صور المساواة في الإسلام : المساواة في الكرامة الإنسانية فلا يؤذى أحدٌ بسبب لونه أو جنسه أو مذهبه أو عقيدته، فالإنسان في حدِّ ذاته كائنٌ ومخلوقٌ مكرَّمٌ، كرَّمه الله تبارك وتعالى؛ فلا يجوز أن يُعتدى عليه بأى نوعٍ من أنواع الاعداء، فالعدل والمساواة بين الناس حق لهم جميعاً ، والظلم مُحَرَّمٌ فيما بينهم، مهما كان لون أحدهم أو عرقه أودينه.

قال سبحانه :﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٢]قال المفسرون : كرَّمهم بالعقل، والنطق، وتسخير الأشياء، وتناول الطعام بالأيدى، وحملهم في البر والبحر على المراكب المختلفة.

وأقسم سبحانه على أنه خلق الإنسان في أحسن صورة وأجملها وأكملها فقال

(١) القيم بين الإسلام والغرب ص٣٧، وهو قد نقلها بتصرف عن موسوعة (نضرة النعيم) جـ٧ ص ٢٨١٨
(٢) سورة الإسراء آيه ٧٠

جل وعلا :﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١)

وبيَّن سبحانه جل وعلا أن قتل النفس الإنسانية بغير حق في الإسلام كقتل الإنسانية جميعاً؛ وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً، فقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾(٢)

وفي الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال : مرَّ بنا جنازة، فقام لها النبى ﷺ وقمنا فقلنا : إنها جنازة يهودي، فقال :(إذ رأيتم الجنازة فقوموا)، وفيهما عن سهل بن حنيف أن النبى ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال صلى الله عليه وسلم :(أليست نفساً)؟

وانظر معي إلى تلك الصورة الراقية الرائعة من عدالة الإسلام ومساواته فيعهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم :

قال أنس : كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاء رجل من أهل مصر ، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك! قال: ومالك؟ قال :أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل،فأقبلت فرسي، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو، فقال: فرسي وربّ الكعبة .

فلما دنا مني عرفته فقلت : فرسي ورب الكعبة .

فقام إليَّ يضربني بالسوط، ويقول : خذها وأنا ابن الأكرمين .

وبلغ ذلك عَمْراً أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه، وهذا حين أتيتك، فوالله مازاد عمر على أن قال له: اجلس. ثم كتب إلى عمر: (إذا جاءك كتابى هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمد) وقال للمصري: أقم حتى يأتيك.

---

(١) سورة التين آيه ١ - ٤

(٢) سورة المائدة آيه ٣٢

فدعا عمر وابنه، فقال: أأحدثت حدثاً؟ أجنيت جناية؟ قال: لا. قال: فما بال عمر يكتب فيك؟

قال: فقدما على عمر. قال أنس: فوالله إنا عند عمر، إذا نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه، فإذا هو خلف أبيه.

فقال: أين المصري؟ فقال: ها أناذا. قال: دونك الدُرَّة فاضرب بها ابن الأكرمين. فضربه حتى أثخنه ونحن نشتهي أن يضربه، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين. ثم قال: اجلِها على صلعة عمرو، فوالله ماضربك إلا بفضل سلطانه.

قال: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت، وقال: يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني. قال: أما والله لو ضربته ما حُلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه، أيا عمرو! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

فجعل يعتذر ويقول: إني لم أشعر بهذا.

ثم التفت عمر إلى المصري فقال: انصرف فإن رابك ريب فاكتب إليَّ[1]

٢- البِـــر:

ومن القيم الإنسانية الفاضلة التي بينها الإسلام ورغب فيها وحث عليها: البِرّ. وكلمة البر تطلق على عدة معاني.

منها: الصدق ... تقول: صدق فلان وبَرَّت يمينه أي صدقت، وأبرَّها: أمضاها على الصدق. ومنها التوسع في فعل الخير.

والبرُّ كلمة جامعة لكل معاني الخير، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفه البر: (إن لفظ البر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به كما جاء في قوله: ﴿إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم﴾[2]، وقوله: ﴿ولكن البر من اتقى﴾[3] فالبر إذا أطلق كان مسماه مسمَّى التقوى، والتقوى: إذا أطلقت كان مُسمَّاها مسمَّى البر، ثم قد يجمع بينهما كما في قول تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾[4].

(١) أخبار عمر للشيخ الطنطاوي ص ١٤٥

وقد أمر الله تعالى بالبر، ورغَّبَ فيه، وامتدح أهله، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَتَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(١)

وقوله جل علا :﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٢)

ومن البر محبة الناس جميعاً، ومحبة الخير والصلاح والهداية لهم، وهذه سمة ظاهرة في هذا الدين، وأصل أصيل في أحكامه وتشريعاته، ولهذا جاءَت كثيرٌ من نصوص الشريعة بمخاطبة الناس جميعاً على العموم، وتذكيرهم، ودعوتهم إلى الخير والهدى؛ ومن ذلك قوله تعالى :﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾(٣) ، وقوله جل وعلا :﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾(٤)، ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾(٥)، وقوله سبحانه:﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم ولباس التقوى ذلك خير﴾(٦)، وقوله عز وجل :﴿ يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾(٧)، وقوله تبارك وتعالى :﴿ يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾(٨)

وللبرِّ فوائد جَمَّةٌ عديدة ، منها :

١ - طريق موصل إلى الجنة .

---

(١) سورة المائدة آيه ٢
(٢) سورة البقرة آيه ١٧٧
(٣) سورة البقرة آيه ٢١
(٤) سورة النساء آيه ١
(٥) سورة الحجرات آيه ١٣
(٦) سورة الأعراف آيه ٢٦
(٧) سورة الأعراف آيه ٢٧
(٨) سورة الأعراف آيه ٣٥

٢- زيادة في العمر وبركة في المال والنسل.

٣- نيل محبة الناس ومحبة الله عز وجل .

٤- البر يؤدى إلى الألفة وشيوع روح المحبة في المجتمع.

٥- الأبرار تعمر بهم الأرض وذلك بخلاف الفجار الذين يخربونها وهى عمارة

ويمكن تقسيم البر إلى قسمين رئيسين وهما :

الأول : الصلة : وهى (التبرع ببذل المال في جهات محمودة، لغير عوض مطلوب، وهذا يبعث عليها سماحة النفس وسخاؤها، ويمنع شحهُا وإبائها؛ قال الله تعالى :﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[1]

الثانى : المعروف : ويتنوع إلى نوعين : قول، وعمل.

(فأما القول : فهو طيب الكلام وحسب البشر والتودد بجميل القول؛ وهذا يبعث عليه حسن الخلق، ورقة الطبع؛ ويجب أن يكون محدوداً كالسخاء، فإنه من أسرف فيه كان مَلَقاً مذموماً، وإن توسط واقتصد فيه كان معروفاً وبراً محموداً .

وأما العمل : فهو بذل الجاه، والمساعدة بالنفس، والمعونة في النائبة، وهذا يبعث عليه حب الخير للناس، وإيثار الصلاح لهم، وليس في هذه الأمور سرف، ولالغايتها حد، بخلاف النوع الأول؛ وإن كثرت فهي أفعال خير تعود بنفعين: نفع على فاعلها في اكتساب الأجر، وجميل الذكر، ونفع على المعان بها في التخفيف عنه والمساعدة له)[2].

٣- التعاون :

ومن القيم الإنسانية الفاضلة التى رغب الإسلام فيها: التعاون؛ والتعاون هو التضامن والتعاضد والترافد.

والتعاون المطلوب هو التعاون على البر والتقوي؛ بأن يظاهر المرءُ أخاه ويعينه على فعْل الخيرات، وعلى طاعة الله عز وجل، وجنبه معطيته.

(١) أدب الدنيا والدين للماوردى ص ٣٢٢،٣٢٣

والتعاون واجب ديني وضرورة اجتماعية اقتضت سنة الله أن لاتقام هذه الحياة إلا على المعاونة والمشاركة، واتخاذ الناس بعضهم لبعض سخرياً. فالتعاون حاجةٌ ضرورية لا يمكن أن يستغنى عنها الفرد، بل المجتمع لايمكن أن يتأسس بدونها، فإذا تم التعاون تمكَّن الإنسان من القيام بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض التى خلق من أجلها.

قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَتَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1] وجعل النبى ﷺ إعانة ذا الحاجة صدقة، ففي الصحيحين عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :(على كل مسلم صدقة) فقالوا : يانبى الله، فمن لم يجد؟ قال(يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق) قالوا: فإن لم يجد؟ قال(يعين ذا الحاجة الملهوف) قالوا: فإن لم يجد؟ قال : (فليعمل بالمعروف، وليُمسك عن الشرِّ فإنها له صدقة)

كما أمر صلى الله عليه وسلم بمعاونة المظلوم على استرداد حقه، والوقوف في وجه الظالم ومنعه عن ظلمه، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) قال: يارسول الله، هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال:(تأخذ فوق يديه).

وبيَّن صلى الله عليه وسلم أن أحب الأعمال ماكان فيها عوناً للمسلم وقضاء حاجة من حوائجه وإدخال سرور عليه، وأن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: إنَّ رجلاً جاء إلى النبى ﷺ، فقال: يارسول الله، أى الناس أحب إلى الله تعالى؟ وأى الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ(أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد) يعنى مسجد المدينة (شهراً، ومن كَفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن

(١) سورة المائدة آيه ٣

يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول قدمُه)[1]

بل أمر صلى الله عليه وسلم بأن يتصدق المرءُ بما زاد عن حاجته على غيره ممن هو في حاجة إليها، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذا جاء رجل على راحلة له، قال : فجعل يصرفُ بصره يميناً وشمالاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان معهُ فضلُ ظهرٍ فليعُدْ به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زَاد فليُعد به على من لا زاد له) فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لاحق لأحدٍ منا في فضل).

وللتعاون على الخير والصلاح والبر والتقوى فوائد كثيرة وعظيمة ، منها :

١- إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة التي لايقدر عليها الأفراد .

٢- شعور الفرد بالقوة ونزع شعور العجز من نفسه، وقدرته على مواجهة الأخطار المحدقة به ممن حوله من الإنسان والحيوان .

٣- أساس التقدم والإنتاج والنجاح والتفوق.

٤- سبب من أسباب الألفة والمحبة بين الناس.

٥- يحقق سنة الله في خلقه ويحقق طبيعة الأشياء[2]

٤- الأمانة:

ومن القيم الإنسانية النبيلة الفاضلة؛ الأمانة :

قال ابن منظور : الأمان والأمانة بمعنى، والأمانة: ضد الخيانة .

وقال ابن الأثير : الأمنة جمع أمين، وهو الحافظ. وقوله عز وجل: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾[23] قال أبو إسحاق : أراد ذا أمن، فهو آمنٌ وأمينٌ. ورجل أمن وأمين بمعنى واحد .

---

(١) الحديث أورده الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/٦٠٨، ٦٠٩

(٢) موسوعة نضرة النعيم جـ ٣ ص ١٠٢٧

وقال الكفوي : كلُّ ما افترض الله على العباد فهو أمانةٌ، كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الدين، وأوكَدُها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار، وقال في موضع آخر: كل ما يؤتمن عليه من أموال وحُرَمٍ وأسرارٍ فهو أمانة.

مجالات الأمانة :

والمجالات التى تدخل فيها الأمانة كثيرة منها :

الدين، والأعراض، والأموال، والأجسام، والأرواح، والمعارف والعلوم، والولايةُ، والوصاية، والشهادة، والكتابة، ونقل الحديث والأسرار، والرسالات، والسمع والبصر وسائر الحواس، ولكل واحدة من التفصيل ماينا سبها.

ولايستقيم أمرُ مجتمع من المجتمعات إلا بالأمانة؛ ولذا جاء الشرع الحنيف بالأمر بالأمانة والترغيب في حفظها وأدائها، والتحذير من تضييعها أو التفريط فيها، ومن ذلك قوله تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيراً﴾(١)

وقوله جل وعلا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢)

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا عرضنا الامانة على السَّماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنَّه كان ظلوما جهولا * ليعذِّب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾(٣)

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :(آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)

وفيهما كذلك عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال :(أخبرني أبوسفيان

---

(١) سورة النساء آيه ٥٨

(٢) سورة الأنفال آيه ٢٧

(٣) سورة الأحزاب آيه ٧٢ - ٧٣

أن هرقل قال له : سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. قال : وهذه صفة نبي)

وعند الترمذي وقال : حديث حسن، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ(أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولاتخن من خانك)

وللأمانة فوائد كثيرة منها :

١ - الأمانة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢ - يقوم عليها أمر السموات والأرض .

٣- بالأمانة يُحفظُ الدينُ والأغراضُ والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشهادة والقضاء والكتابة ...

٤ - الأمين يحبه الله ويحبه الناس .

٥- المسئولية :

ومن القيم الإنسانية النبيلة : المسئولية :

قال الدكتور دراز (تعني المسئوليةُ كون الفرد مكلفاً بأن يقوم ببعض الأشياء ويقدم عنها حساباً إلى غيره، وينتج عن هذا التحديد أن فكرة المسئولية تشتمل على علاقة مزدوجة من ناحية الفرد المسئول بأعماله، وعلاقته بمن يحكمون على هذه الأعمال، والمسئولية قبل كل شئ هي استعداد فطري؛ إنها هذه المقدرة على أن يلزم الإنسان نفسه أولاً، والقدرة على أن يفي بعد ذلك بالتزامه بواسطة جهوده الخاصة)[1]

وقيل : المسئولية حالةٌ يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزماً بتبعاها المختلفة.

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن ص ١٣٨

وقد قَرَّر القرآن هذه المسئولية فى آيات كثيرة؛ منها قول تعالى :﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾(١)

وقوله جل وعلا : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾(٢)

وقوله سبحانه : ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣)

أنواع المسئولية :

وللمسئولية أنواع متعددة أهمها :

١- المسئولية الدينية : وهي التزام المرء بأوامر الله ونواهيه، وقبوله في حال المخالفة لعقوبتها ومصدرها الدين.

٢- المسئولية الاجتماعية : وهى التزام المرء بقوانين المجتمع ونظمه وتقاليده.

٣- المسئولية الأخلاقية : وهى حالة تمنحُ المرء القدرة على تحمل تبعات أعماله وآثارها، ومصدرها الضمير؛ وكل مسئوليةٍ قبلناها، وارتضينا الالتزام بها فهي مسئولية أخلاقية.

- المسئولية الشخصية :

من المبادئ التى قررها الإسلام قصر المسئولية على المسئول وحده، قال تعالى :﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٤)

وقال جل وعلا :﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(٥) وقوله تعالى :﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾(٦)

---

(١) سورة المؤمنون آيه ١١٥
(٢) سورة القيامة آيه ٣٦
(٣) سورة الجاثية آيه ٢٩
(٤) سورة البقرة آيه ١٤١
(٥) سورة فاطر آيه ١٨
(٦) سورة الإسراء آيه ٣٣

فلا يؤخذ بريئ بجريمة مذنب، ولايشترك أهل المذنب فيما اقترفت يداه، أو نُسب إليه.

ولاتستقيم أمور الحياة، ولاتستقر شئون الأمة، ولاتُسعد في حياتها إلا إذا قام كل فرد من أفرادها حكّاماً ومحكومين، أفراداً وجماعات، رجالاً ونساءً؛ إلا إذا قام كلُ أحد بمسئولياته، وقد جاءت نصوص الشرع تبين هذا الأمر، وأن كل إنسان محاسبٌ وحده عما جناه وفعله، ومكلفٌ بأشياء ومسئول عن أمور يختص بها دون سواه.

قال جل وعلا :﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١)

وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾(٢)

وقال جل وعلا :﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً * مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(٣)

وقال سبحانه :﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾(٤)

وقال تبارك وتعالى :﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾(٥)

---

(١) سورة الحجر آيه ٩٢ - ٩٣

(٢) سورة الإسراء آيه ٣٤ - ٣٦

(٣) سورة الإسراء آيه ١٣ - ١٥

(٤) سورة المؤمنون آيه ١١٥ - ١١٦

(٥) سورة المدثر آيه ٣٨ - ٤١

وفى الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ فى مال سيده ومسئول عن رعيته) قال وحسبت أنه قد قال : (والرجل راعٍ في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته).

وقال الدكتور على أبو العينين : (من المقومات الأساسية التى يقوم عليها المجتمع المسلم أنه مجتمع مسئول، كل فرد فيه مطالبٌ بالمشاركة في تيسير أمور مجتمعه، والمسلمون مسؤلون عن بعضهم، ومأمورون بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)[1]

وللمسئولية فوائد منها :

١- تُشعر بوجوب أداء الأمانة أمام الله وأمام الناس .

٢- الإخلاص في العمل والثبات عليه .

٣- كسب ثقة الناس واعتزازهم بالشخص المسئول .

٤- يشعر الشخص المسئول بالسعادة تغمره كلما قام بتنفيذ عمل نافع.

٥- تجل بنيان الدولة قوياً غير قابل للتصدع عند التعرض للمحن والحروب.

٦- المسئولية تجعل للإنسان قيمة في مجتمعه.

٦- الصدق :

ومن القيم الإنسانية الفاضلة التى جاء الإسلام بالحث عليها والترغيب فيها؛ والصدق : قال الراغب : الصدقُ مطابقةُ القول الضميرَ، ولمخبر عنهُ معاً[2]

وقال الجرجاني : مطابقة الحكم للواقع، وهذا هو ضدُّ الكذب [3]

---

(١) التربية الإسلامية وتنمية للجتمع الإسلامى ص ٥٤

(٢) المفردات ص ٢٧٧

(٣) التعريفات ص ١٣٢

وقيل : الصدق استواء السر والعلانية، والظاهر والباطن؛ بألا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله.

مجالات الصدق:

قال ابن القيم رحمه الله :(والصدق ثلاثة : قول وعمل وحال)

فالصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد .

والصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص ، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة؛ فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته، كما فعل أبو بكر رضى الله عنه[1]

وقد أمر الله عباده بالصدق فقال سبحانه :﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2]

وامتدح الله الصادقين بأحسن أعمالهم من الإيمن والإسلام والصدقة والصبر، وبأنهم من أهل الصدق .. قال سبحانه :﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىَ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىَ وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3] وهذا صريحٌ فى أن الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة، وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان .

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٨١

(٢) سورة التوبة آيه ١١٩

(٣) سورة البقرة آيه ١٧٧

وقسّم الله جل وعلا الناس إلى صادق ومنافق، فقال سبحانه :﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾(١)

فما ثمَّ إلا صادقٌ أو منافق، وليس ثمَّة ثالث؛ فالإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب؛ فلا يجتمع كذبٌ وإيمان إلا وأحدهما يحاربُ الآخر.

وأخبر الله تبارك وتعالى أنه لاينفع العبدَ ولا ينجيه يوم القيامة إلا صدقه، فقال تعالى:﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢)

وقال جل وعلا :﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَاءونَ عندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣)

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدى الى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)

وعند الحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :(اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصارك ، وكفوا أيديكم)

وعند الترمذي وقال : حسن صحيح ، عن رفاعة رضى الله عنه أنه خرج مع النبى ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون. فقال (يامعشر التجار)! فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال :(إن التجار يبعثون يوم القيامة فُجَّاراً، إلا من اتقى الله وبَرَّ وصدق)

(١) سورة الأحزاب آيه ٧٣
(٢) سورة المائدة آيه ١١٩
(٣) سورة الزمر آيه ٣٣ - ٣٥

وعند الترمذى كذلك وقال : حسن صحيح، عن أبي محمد، الحسنِ بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما قال : حفظت من رسول الله ﷺ (دع مايريبك إلى مالا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة)

* وأنشد محمد الورَّاق :

اصدق حديثك إن فى الصـ ـدق الخلاص من الدنس

ودع الكـ ـذوب لشأنه خيرٌ من الكذب الخرس

* وقال منصور الفقيه :

الصدق أولى ما به دان امرؤٌ فاجعله دينا

ودع النفاق فما رأيـ ـت منافقاً إلا مهيناً

* وقال عبدالواحد بن زيد : (الصدق الوفاء لله بالعمل)

* وقال إبراهيم الخواص :(الصادق لاتراه إلا فى فرض يؤديه، أو فضل يعمل فيه)

* وقال الجنيد (حقيقة الصدق : أن تصدق فى موطن لاينجيك منه إلا الكذب)

* وقيل : (من طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يبصر فيها الحق والباطل)

وقيل : (عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك، فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضر بك)

وللصدق فوائد عديدة منها :

١- الصدق طريق الأبرار إلى الجنة .

٢- الصادقون يحبهم الناس ويثقون بهم ويأتمنونهم فى سائر معاملاتهم.

٣- الصدق يرفع الأعمال ويعلي شأنها.

٤- الصدق دليل القوة وسمة الثقة بالنفس.

٥- الصادق محشورٌ مع النبيين والشهداء والصالحين .

هذا الذي تقدَّم هو بعضُ القيم الإنسانية في الإسلام؛ والإسلام دعا إلى قيمٍ أخرى غيرها نبيلة وفاضلة، وهي كثيرةٌ جداً؛ وما هذا الذي ذكرتُ إلا أمثلة فحسب لتلك القيم النبيلة الرائعة.

إذ الحديث عن القيم الإنسانية كلها قد لايتسير، ولكن المتيسر هو أن نعرض بعض جوانبها علي ضوء الشريعة المحمدية، حتى تستضئ البشرية بهذه الإشراقة الإنسانية .

ولعلنا نستغني عن كثير من المقدمات المنطقية حينا نعلم أن الذنب الذي جناه نبينا محمد ﷺ في نظر أعدائه – هو اعترافه بالمبادئ الإنسانية.

فاستخدام القوة – مثلاً – أمام القوى المقاتلة ليس مبدأ محمدياً ابتداءً، وإنما هو مبدأ إنساني، وحيث إن الإنسانية ممثلة بمحمد صلى الله عليه وسلم أصبح استخدام القوة مبدأ محمدياً .

والإسلام – الذى جاء به محمد ﷺ – لم يقابل بقواته أمماً تقابله بالورود والرياحين، وإنما يقابل جيوشاً مدججة بالسلاح، فما معنى امتلاك تلك الأمم للسلاح؟!

بل إن الإسلام منع من استخدام القوة أمام من لايملك القوة، كالأطفال، والنساء، والرهبان، ونحوهم، وهذا لأن الأصل فى الإسلام هو السلام، وأما استخدام القوة فعارض ينتهي بانتهاء سببه.

ثم إن استخدام القوة في الإسلام لايكون إلا أمام الجيوش المحاربة، وأما الأفراد فليس من دين الإسلام مقابلتهم بالسلاح، وإنما يُقابلون بالهدى والصلاح.

ولعلك تعجب حينما ترى أن الإسلام قد وهب للأفراد حرية الاختيار- على عكس معتقدات الأمم الأخرى- ومع ذلك ترى الشعوب على اختلافها تتسابق إلى الدخول فى دين الله أفواجاً، على عكس معتقدات الأمم الأخرى التى عجزت عن إدخال شعوبها فى معتقداتها بالحديد والنار.

وأعظم من هذا حينما تجد الشعوب المختلفة تتسابق في تقديم أبنائها الأعلام لخدمة الإسلام، وهذا لإيمانها بأنها تعيش فى ظل الإسلام على قاعدة : (لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى)، وتردّد صباح مساء قول ربها سبحانه :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]

ولغتها :

أبى الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

وإذا كانت هذه سياسة الإسلام أمام القوى الخارجية فإن الشريعة الإسلامية لم تهمل شؤونها الداخلية، ولأن المظاهر الإجرامية جزء من المجتمعات الإنسانية فقد وقف له الإسلام بالمرصاد؛ ليدرأ شرها عن البلاد والعباد، فأعطى كل جريمة ما يناسبها من العقوبات التى ربما تصل إلى القتل، وهذه العقوبات تقرّ بها جميع الأمم، ولكنها تختلف في تحديد أنواع الجرائم التى تستحق تلك العقوبات .

إذا كنا نريد برهاناً على صحة العقوبات الإسلامية وملاءمتها للحياة الإنسانية، فلسنا بحاجة إلى مقدمات منطقية، ولا نظريات فلسفية، وإنما يكفينا أن نلتفت إلى مجتمعات العالم أجمع؛ لنسألها :

أى المجتمعات نجحت في الحد من انتشار الجريمة ؟!

ولنترك الجواب للأرقام

ومن إنسانية الإسلام مراعاته لاختلاف القدرات العقلية لبنى الإنسان، فيهب للعقول مساحة واسعة لتلعب دورها في بناء الحضارة الإسلامية، بل حتى فى المسائل الشرعية يسمح بوجهات نظر مختلفة؛ اعترافاً بالطبيعة الإنسانية، وتيسيراً للأمة الإسلامية، (ولن يشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه)

(١) سورة الحجرات آيه ١٣

ولكنه مع هذا لم يتجاهل التفريق بين المصالح العامة والمصالح الفردية؛ فيختار للرعاية نخبة من أولي الدّراية؛ ويَكِلُ إليهم النظر فى مصالح الولاية.

وأما المصالح الفردية فقد شرع لكل فرد أن ينظر في أموره الخاصة على حسب ما تقتضيه مصلحته.

تلك هي الحرية التى يتكلم عنها الإسلام، وليست سفسطات وفلسفات تُسوَّد بها الصفحات، وتمتلئ بها المجلات، وليست شعارات ولافتات تتشدق بها المرئيات والإذاعات، حتى إذا ماأتيت إلى الواقع لم تجد شيئاً ، وإنما تجد واقعاً لايحرر الإنسان من الطغيان والعصيان، وإنما يحرره من مبادئه الحسان.

وهو إن طالب بالحرية فإنما يطالب بحريته الشخصية، وتسخير الإنسان لمصالحه الذاتية، بل وشهواته البهيمية.

ولعلك لاتجد أحداً من بني الإنسان يطالب بحرية مطلقة، وإنما يقيدها كل أناس علي حسب ماتشتهيه أهواؤهم، وتمليه عليهم خيالاتهم، وأفضل حرية عرفها الإسلام هى تلك التى قامت على مبدأ العدل بين الناس أجمعين، على قاعدة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]. هذه بعض الجوانب الإنسانية التى يتمثلها الإسلام على قائده أفضل الصلاة والسلام.

وهى جوانب تشهد على صحة هذا الدين السماوي، وأن محمداً رسول من رب العالمين)[2]

هذه بعض القيم الإنسانية الفاضلة، التى جاء الإسلام بها، وحث عليها، ورغب فيها؛ والمسلمُ ينطلق من تلك القيم وغيرها في تعامله مع الآخرين مسلمين أو غير مسلمين؛ فهو ينطلق في تعامله مع الآخرين من قيم ثابتة؛ ومبادئ عادلة سامية،

(١) من مقال إنسانية محمد صلى الله عليه وسلم لحامد بن عبدالعزيز الحامد، من موقع مفكرة الإسلام
(٢) سورة الأنبياء آيه ١٠٧

وأخلاق فاضلة؛ وها أنا ذا ألخّص في نهاية هذا البحث الموجز بعض القيم والمبادئ والأسس التي ينطلق منها المسلم في تعامله مع الآخرين؛ فمن هذه القيم والمبادئ :

١- وحدة الجنس البشري، حيث تجمعهم أخوة النسب الإنساني الذى يرجعون به إلى أبيهم آدم عليه السلام ، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾(١)

٢- الكرامة الإنسانية التى يستحقها الإنسان لكونه آدمياً رجلاً كان أو امرأة، صغيراً كان أو كبيراً؛ قال سبحانه :﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(٢) وبهذ الكرامة يُصان دم الإنسان وعرضه وماله ونسبه وحريته.

٣- تحريم قتل النفس الإنسانية بغير حق. وقتل نفس واحدة ظلماً عند الله كقتل الناس جميعاً، وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً، وجاء في القرآن :﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾(٣)

٤- لايجوز إكراه أحد في دينه، قال الله تعالى :﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(٤)، بل إن الإسلام نفسه لايصح مع الإكراه.

٥- إقامة العلاقات الإنسانية عى الأخلاق الكريمة -من العدل والإحسان والبر- أساس في رسالة الإسلام، بل وفي الرسالات السماوية الأخرى، يقول النبى محمد ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، ويقول الله تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا

---

(١) سورة النساء آيه ١
(٢) سورة الإسراء آيه ٧٠
(٣) سورة المائدة آيه ٣٢
(٤) سورة البقرة آيه ٢٥٦

بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[1]

٦- كل من فى الأرض من خيرات ظاهرة وباطنة إنما خلقت من أجل الإنسان، قال تبارك وتعالى :﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾[2] وهي إنما خلقت ليكون استثماره لها فى حدود الحق والعدل والخير والإصلاح.

٧- المسؤولية في الجنايات الخاصة فردية، فلا أحد يؤخذ بجريرة غيره، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[3]

٨- العدل بين الناس حق لهم والظلم محرم فيما بينهم مهما كانت أديانهم أو ألوانهم أو قومياتهم ، قال الله تعالى :﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾[4]

٩- الحوار والدعوة بالحسنى شعارُ المسلم الصادقة؛ قال تعالى :﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وجادلهم بالتى هى أحسن﴾[5]

---

(١) سورة الحديد آيه ٢٥
(٢) سورة الإسراء آيه ١٥
(٣) سورة الأنعام آيه ١٥٢
(٤) سورة النحل آيه ١٢٥